دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تجديد الخطاب المعجمي العربي الحديث : الواقع والطموح
المصدر:	مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية - مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع - الجزائر
المؤلف الرئيسي:	خراط، عادل
المجلد/العدد:	ع9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	جانفي - جوان
الصفحات:	8 - 28
رقم MD:	805882
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	علم اللغة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/805882

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تجديد الخطاب المعجمي العربي الحديث الواقع و الطموح

أ. عادل خراط
قسم علوم اللسان - جامعة الجزائر02

ملخص:

يشهد الدرس المعجمي في السنوات الأخيرة تحولات كبيرة، الأمر الذي جعل العديد من الدارسين يدعو إلى إعادة النظر في كثير من قضايا المعجم العربي بشقيه النظري والتطبيقي، والتطلع إلى آفاق جديدة في هذا المجال، بما يخدم المعجم والخطاب المعجمي العربي، ويخرج بهما إلى فضاءات فسيحة تتجاوز حدودهما المحلية إلى العالمية .

وفي هذا الصدد يأتي هذا المقال، ليسلط الضوء على واقع خطاب التجديد في المعجم العربي، وذلك من خلال عرض عينة من الأفكار والأعمال المنجزة والجاري انجازها في سبيل الوصول إلى معجم حديث، معجم يربط ماضي الأمة بحاضرها.

Résumé :

Au cours de ces dernières années, le cours lexicographique voit des transformations immenses. Ce qui a poussé les chercheurs d'appeler à revoir plusieurs propositions concernant le lexique arabe avec ses deux composantes théorique et pratique. Et d'ambitionner, aussi, de nouveaux horizons dans ce domaine selon ce qui sert le lexique et le discours lexicographique et les faire sortir vers de vastes espaces dépassant leurs limites locales afin d'atteindre l'universalité.

C'est dans ce sens que va cet article, afin de mettre la lumière sur la réalité du discours de modernisme dans le lexique arabe. Ceci à travers une présentation d'un échantillon pris de ces raisonnements et ces travaux réalisés et ceux qui sont en cours de réalisation dans le but de confectionner un lexique moderne, un lexique qui relie le passé de la nation à son présent.

مقدمة :

لعل الهدف الأسمى الذي ترمي إلى تحقيقه جل إن لم أقل كل الأبحاث اللغوية العربية، هو وضع لغة الضاد في المشهد اللغوي المعاصر، ومحاولة النظر إليها من خلال مستجدات البحث اللساني، والخروج بها من رتابة الطرق التقليدية، التي وإن كنا لا ننكر فضلها على اللغة العربية، إلا أن الاقتصار عليها والاكتفاء بها، فيه مضيعة للغة ومهلكة لأهلها والقائمين عليها، خاصة في ظل ما تشهده العلوم من تطور متعاظم منذ القرن الماضي، الشيء الذي هيأ للنظرية اللسانية الحديثة ما لم يكن متاحا أو ممكنا في العصور السالفة[1].

قد لا تطرح قضية تجديد الخطاب المعجمي في الدرس اللغوي العربي، إشكالية كبيرة كغيرها من قضايا التحديث والتجديد الأخرى في الفكر العربي، كتجديد الخطاب الديني مثلا- التي عادة ما تواجه بالرفض والنقد من قبل ما يعرف بالتيار المحافظ، غير أن الحديث عن تجديد المعجم العربي لم يمنع كثيرين من التساؤل عن جدوى الإصلاح وجوانبه، وهل تجديد الخطاب المعجمي يعني تجاوز الدراسات التراثية في هذا المجال؟ وهذا ما يعني أن المعاجم العربية لم تعد قادرة على مسايرة التحولات المتسارعة التي تعرفها الدراسات اللغوية العالمية ؟

إن الحديث عن تجديد المعجم العربي يقتضي الوقوف عند دلالة هذا المفهوم، الذي نعني به « متابعة القاموس بعد صدوره ونشره، بالتنقيح والزيادة والتحسين والتجويد، وإصلاح الأخطاء، وتحيين المعلومات القديمة، وإضافة الألفاظ والاستعمالات المستجدة، والتخلص مما أصبح متجاوزا أو سقط من الاستعمال، وإصدار الطبعات تلو الطبعات بين كل فترة وأخرى، لا يتجاوز الفاصل بينها خمس سنوات على أبعد تقدير، نظرا للسرعة الهائلة التي أصبحت تتحكم في تطور اللغات بعالمنا المعاصر، وسرعة تدفق المستجدات والمكتشفات وتلاحقها وتغير المعطيات والمعلومات، وهذا الأمر لا يصح إسناده لهيئة أخرى غير الهيئة التي أشرفت على الانجاز من بدايته إلى نهايته مع إمكانية الاستعانة بخبراء آخرين»[2].

---

[1] - رفيق البوحسيني: معالم نظرية للفكر اللغوي العربي مقاربة ابستيمولوجية، المزهر نموجا، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، دط، 2013 ،ص 27

[2] - عبد العلي الودغيري: نحو قاموس للغة العربية حديث ومتجدد (مقال)، المعجمية العربية قضايا وآفاق، دار كنوز المعرفة،عمان،الأردن،ج1، دط،2013، ص68

لقد أدرك اللغويون العرب انقضاء الزمن الذي كان فيه العمل المعجمي عبارة عن تلخيص لمعجمات سابقة، وأسهم تطور التقنيات المعجمية في إكساب هذا اللون من العمل اللغوي فضاءات جديدة وأساليب حديثة ، تمثل إذا طبقت انطلاقة فتية للمعجمات العربية، وتسهم بفعالية في نشر المعرفة[1]. من هنا تعالت أصوات عديدة نادى أصحابها بإعادة النظر في كثير من قضايا المعجم العربي النظرية والتطبيقية، بما يتماشى والتحولات التي تعرفها صناعة المعجمات في العصر الحديث.

1- دوافع التجديد والحاجة لمشاريع الإحياء:

ظلت اللغة العربية لقرون عديدة تفاخر بمعجم صنعه علماؤها، حفاظا على لغة القرآن الكريم، مودعينه عبقرية العرب في بداوتهم، وعبقريتهم بعد أن صقلتهم حضارة الإسلام، فكان معجما ليس لأمة من الأمم مثله سعة آفاق، وغزارة مادة، وتنوّع أبواب، أما معجمات سائر اللُّغى فهي قاصرة عنه، متأخرة عليه، محدثة بالنسبة إليه، وهذا ما لا خفاء به على ذي نهية.[2]

و يعترف بهذه الحقيقة كثير من الدارسين العرب ومن غير العرب، ممن كانت لهم عناية ظاهرة بالتراث اللغوي العربي، فقد جاء على لسان جون هايوود في هذا الصدد قوله:إن العرب في العصور الوسطى، قد امتلكوا معاجم تحظى بقبول واسع...ويحتلون حقا في الصناعة المعجمية،كما هو الأمر في حقول أخرى، موقعا مركزيا زمانا ومكانا، قديما وحديثا، شرقا وغربا[3].

لقد ظلت مقولة هايوود (Haywood) عن المعجم العربي صادقة حتى مطلع عصر النهضة، حين تطورت صناعة المعجم عالميا وخضعت لمواصفات عامة، واستخدمت الأجهزة الحديثة لبناء قواعد للبيانات، والاستفادة منها في الحصول على المادة، وتحليلها وترتيبها وغير ذلك، وكانت النتيجة أن تقدم المعجم عالميا، وتخلف عربيا، ودخلت

---

[1] - أسامة الألفى: المعجم العربي الحديث بين الواقع والمأمول، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،مصر، دط،2010، ص 94

[2] - عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط2، 1994، ص11

[3] - عبد الكريم مجاهد مرداوي: مناهج التأليف المعجمي عند العرب معاجم المعاني و المفردات، دار الثقافة للنشر
والتوزيع،عمان، الاردن، ط1،2010، ص25

معظم اللغات عصر المعاجم الحديثة، وتجمّد العمل المعجمي العربي، ولم يعد يفي بالمواصفات الضرورية، أو يلبي احتياجات المستهلكين المتنوعة والمتفاوتة[1].

لقد شهدت صناعة المعجمات تطورا باهرا، بلغ غايته في استحداث معاجم الجيب الالكترونية المتعددة اللغات، التي يمكن للمرء أن يحملها معه أينما حلّ وارتحل، وتمكنه هذه القواميس من معرفة معاني الكلمات المختلفة وطريقة نطقها في أي لغة من اللغات المشهورة، في أنحاء المعمورة [2]. كما لم تعد صناعة المعجمات في العصر الحديث على هامش العمل الثقافي وإنما من صميمه، ولم تصبح كما كانت من قبل عبئا على الباحث والناشر، بل أصبحت صناعة مربحة واعدة وصارت مجالا للتنافس بين دور النشر الكبرى[3]، بعدما كانت لسنوات الحلقة الأضعف في الدرس اللغوي* وفي واقعه العملي تنظيرا و تطبيقا[4].

لقد أصبح المعجم العربي في نظر كثير من الدارسين المحدثين، على عظم الخدمة التي أداها، وما يزال يؤديها للغة العربية وثقافتها، قاصرا عن مسايرة النهضة العلمية والفكرية، التي شهدتها البلاد العربية، ومتابعة تطور العلوم والمعارف، مما يزداد معه الشعور كل يوم بالحاجة الماسة إلى معجم حديث، يضاهي المعاجم المعروفة في اللغات الأجنبية _ على مشاكلها والانتقادات الموجهة إليها – فيتسع لمصطلحات العلوم والفنون والتقنيات، والألفاظ التي شهدتها البشرية في القرن الماضي وستشهد تطورات مذهلة في المستقبل[5].

---

[1] - أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1998 ، ص27

[2] - سناني سناني: في المعجمية والمصطلحية، عالم الكتاب الحديث ، اربد، الأردن، ط1، 2012، ص01

[3] - أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص 15

* أهما التركيبيون الاهتمام بالمعجم ووجهوا اهتمامهم إلى الصوت والصرف، وظلوا ينظرون للمعجم على أنه ذيل للنحو، أو ملحق به أو أنه قائمة من الاستثناءات، حتى ظهرت نظرية الحقول الدلالية، فردّت علم المعاجم إلى حظيرة علم اللغة ، حيث تعطي هذه النظرية مفردات اللغة شكلا تركيبيا وتضع المفردات في شكل تجميعي تركيبي، ينفي عنها التسيب المزعوم. أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص30

[4] - الحبيب نصراوي: قاموس العربية من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2011 ، ص01

[5] - أحمد عزوز: صناعة المعاجم العربية وآفاق تطورها (مقال)، مجمع اللغة العربية ، دمشق، سورية ، ج04، ص1056

وأمام هذا المشهد المتغير كان لزاما علينا تعميق البحث في العربيّة،واستثمار معجمها وتطويره ، ونبذّ الدعاوى الناعقة التي تريد تحييد العربية عن الممارسة العصرية،أو إبعادها عن الدرس اللغّوي الحديث،لأن ذلك من شأنه أن يجمّدها و يجني عليها جناية كبرى.[1]

ومع بشائر النهضة الحديثة التي انطلقت خطواتها الأولى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، دبت حركة جديدة وحثيثة لسّد النقص وتدارك ما فات خلال مرحلة الركود[2].

لقد عايشت اللغة العربية في هذه الفترة صحوة فكرية، وعلمية ولغوية عارمة، في مصر و بلاد الشام منذ حملة نابليون، اضطّلع بها جيل كامل من المصلحين الرواد، وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، الكواكبي والسنوسي، وغيرهم من الأعلام، كان لها صدى مرموق على اللغة في مصر وعلى مستوى الأدب في بلاد الشام[3].

ولما كان المعجم أحد الأسس المكينة التي يمكن أن تنطلق منها عملية الإصلاح، فقد حظي باهتمام وعناية كبيرين[4]. ذلك أن المعجم كما هو معروف ملك للأمة الناطقة بلسانه، وعنوان شخصيتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وإذا كان الأمر بهذه الأهمية، فإنه من واجب سدنة الشؤون التربوية في هذه الأمة، وضع الأمر في نصابه، بالحرص على رعاية شؤون المعجم، وتشجيع المتخصصين في هذا المجال.[5]

إن الحاجة ملحة وضرورية إلى وجود معجمات تواجه حاجات العصر ومقتضياته، وتضارع الفن المعجمي العالمي، الذي تطور في الفترات القريبة، وتمخض عنه خروج

---

[1] - المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، مطبعة بن سالم، الأغواط ، الجزائر ، دط ،2012، ص235

[2] - عبد العلي الود غيري: نحو قاموس للغة العربية حديث ومتجدد، ص23

[3] - المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي، ص234

[4] - حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان، ط1 ،2009، ص24

[5] - ابن حويلي: المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومة، الجزائر، دط،2010 ، ص239

العديد من المعاجم اللغوية العالمية، مثل معجم لاروس بالفرنسية، ومعجم أكسفورد و ويبستر بالانجليزية[1].

كما أنه ليس بمقدور العلماء وطلبة العلم أن يحبسوا أنفسهم فكريا ولغويا – في ظل النمو العلمي المطّرد- في إطار المعطيات الفكرية واللغوية عند الأجيال المتقدمة تاريخيا[2].

وفي ضوء ما سبق يؤكد (الحبيب نصراوي) ضرورة أن يكون القاموس مشروعا مفتوحا، قابلا للإضافة والتجديد باستمرار، حتى يستطيع أن يكون امتدادا للبنية الفكرية السائدة في عصره، وتعبيرا عن مذاهبها، وهو باعتباره بضاعة مطالب بأن يخضع لعاملي العرض والطلب، لا أن يبحث عن المحافظة على معجم خيالي مثالي، وما يقدمه من معلومات هو خطاب عن مدونة، وليس أوامر يعطيها المعجمي باعتباره صاحب الملفوظ.[3]

2- مسارات الإصلاح المعجمي، بين الواقع والطموح:

لقد ساهم التحول المعرفي الذي شهده الدرس اللغوي في السنوات الأخيرة، في خلق حوار علمي جاد بين رجال النهضة العلمية في البلاد العربية، ونظرائهم في أوروبا، فقد أجمع كثير من علماء العربية، على أهمية استثمار هذا التراكم العلمي والتكنولوجي، في التأسيس لمشروع لغوي نهضوي عربي، من شأنه الارتقاء باللغة العربية وعلومها، شهدت لهم على ذلك مؤلفاتهم العديدة، التي رموا من خلالها إلى إعادة النظر في كثير من قضايا اللغة العربية، ومحاولين في الوقت نفسه إبراز إسهام الفكر اللغوي العربي في المعرفة اللسانية الحديثة.

لقد استطاع هؤلاء اللغويون العرب تجاوز مرحلة التلقي والتقليد، إلى مرحلة الإحياء والتجديد، وذلك بعد أن عاد كثير منهم من بعثاتهم العلمية إلى أوروبا، فأخذوا زمام المبادرة إلى الترجمة و التأليف معتمدين على أنفسهم[4].

---

[1] - أحمد بن عبد الرحمان بلخير: المعجم الوسيط و المعايير المعجمية الحديثة دراسة وصفية تحليلية، دار الفرقد، سورية، ط1، 2013، ص100

[2] - المرجع نفسه، ص105

[3] - الحبيب نصراوي: قاموس العربية من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط1، 2011 ، ص14

[4] - محمد علي الزكان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط،

لقد كان الإنشداد إلى التراث أمرا بدهيا في تلك المرحلة، بالنظر إلى الملابسات التي فرضتها المرحلة النهضوية، والتي عملت على ترسيخ الشعور بالإحساس القومي، وما استتبع ذلك من اهتمام متزايد بالتراث اللغوي العربي، وقد كان هذا سببا في البحث في كل ما من شأنه أن يجعل العرب بهوية متميزة، لها قوتها وحضورها، وعلى هذا الأساس لم يستسغ المحافظون منهجا جديدا في البحث، مبتدعا ومستمدا من ثقافة الآخر بحسب اعتقادهم[1].

إننا نجد اليوم كثيرا ممن يحاول أن يختزل عناصر النهضة في الدعوة إلى إحياء التراث، فأغلب أوجه الإصلاح الفكري والثقافي، وحتى السياسي بدأت بالرجوع إلى الذّات لاستنطاق كوامن القوة منها، اعتقادا بأن ما حققته من عزّة، خير دليل على أن الحل يكمن فيها[2] فكثرا ما نظر إلى منجزات التراث على أنها كبرياء هذه اللغة، وعدّ الموروث المعجمي ناجزا منتهيا، فلم نستشعر الحاجة إلى إعادة النظر فيما يبدو حكما متشددا لم يعد ما يبرره اليوم، في ظل ظهور منهجيات حديثة في الدرس اللساني، وفي قوانين التحول وقواعد التوليد في اللّغات لاستيعاب مظاهر التطور الإنساني دون تفريط في خصائص اللغة.[3]

وفي ضوء ما سبق اتجهت أنظار كثير من اللغويين، إلى العناية بالمعاجم القديمة وإعادة طبعها ونشرها، ويتمثل عمل هذا الاتجاه في إعادة طباعة المعاجم العربية، سواء من حيث إعادة الطبع لما هو مطبوع، أم المخطوط منها لتسهيل تداولها بين النّاس، فظهرت سنة 1865 طبعة لكتاب الجوهري "تاج اللغة وصحاح العربية "، وفي سنة 1870 طبعة لكتاب الرازي "مختار الصحاح" وسنة 1876 ظهرت طبعة لكتاب ابن منظور "لسان العرب" ، وفي السنة نفسها ظهرت طبعة لكتاب الزمخشري "أساس البلاغة"، وفي سنة 1889 ظهرت أول طبعة كاملة لكتاب الزبيدي "تاج العروس" وهو أضخم معجم عرف حتى اليوم".

وقام بعض العلماء بإعادة ترتيب بعض المعجمات القديمة على حروف الهجاء، بحسب أوائل الكلمات، بقصد تسهيل الرجوع إليها وتشجيع طلاب المدارس على

1998، ص31

[1] - حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص46،47

[2] - الحبيب نصراوي: قاموس العربية من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، ص70

[3] - المرجع نفسه ، ص01

استعمالها، ولكن جميع المعجمات التي أخذ العرب من مختلف الأقطار يتداولونها، لم تكن لترضيّ المفكّرين والداعين إلى النهضة الاجتماعية والسياسية واللغوية، لأنها معاجم ألفت في عصور يختلف مفهوم الحضارة فيها عن مفهومها في العصر الحديث، إلى جانب ما حوى أكثرها من حشو لا قيمة له، أو مكررات لا طائل تحتها، أو معلومات خاطئة كانت سائدة في عصور مؤلفيها، بالإضافة إلى ما وقع فيها من أخطاء الروّاة وتصحيف النسّاخ[1].

لقد رأى كثير من اللغويين والنقاد ضرورة الأخذ بالمعجمات القديمة، منطلقا في سبيل الوصول إلى معجم يواكب تطوّر العصر والحضارة ، فوجهوا بذلك اهتمامهم نحو أمّهات المعاجم العربية ، بالدّراسة والنقد والتمحيص

«متّبعين في ذلك مناهج جريئة متأثرة بأساليب علمية غربية، وساعدتهم قدرتهم الشخصية، وكفاءتهم العلمية على الموازنة بين لسانهم، وما يحسنون من ألسن عديدة شرقية وغربية»[2].

ومن اللغويين الذين ركّزوا على هذا الجانب أحمد فارس الشدياق(1804-1887)، وبطرس البستاني (1819-1883م)، إبراهيم اليازجي(1847- 1912م) وغيرهم، من الذين أولوا عناية كبيرة لتنسيق المعجم العربي، وترتيب مواده ترتيبا سهلا يسيرا، يمكن الباحث من الوصول إلى المعنى المراد.

وتظهر القراءة الفاحصة لمعاجم النهضويين، معرفتهم العميقة واطلاعهم الواسع على المعاجم القديمة، وطرائق وضعها، وتصنيف موادها وهذا ما نلمسه في في عمل أحمد فارس الشدياق "الجاسوس على القاموس" ، الذي انتقد فيه معاجم التراث، ورأى أنها لم تعد تستجيب لمتطلبات العصر، لأن القدماء في نظره، قد صنفوا ونفعوا وأفادوا، غير أنهم ألفوا كتبهم حسب أفهامهم ، وأذهانهم، وأفهام أهل زمانهم، فاختصروا و أوجزوا، وأشاروا ورمزوا ، وأنه لا عيب عليهم في ذلك[3].

ولعلّه من المفيد أن ننبّه هنا إلى أن الإقبال على المعاجم بالنقد والتمحيص، لم يشمل أمهات المعاجم فحسب، بل شمل المعاجم الحديثة كذلك، على غرار ما قام به الشيخ أحمد رضا (1872- 1953م) مع معجم "أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد"،

---

[1] - عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، ص 47

[2]- المرجع نفسه، ص 47

[3] - حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص24

كذلك الأب أنستانس ماري الكرملي الذي عمل على تتبع هفوات البستاني وأوهامه في معجمه "محيط المحيط".

لقد كان لحركة النّقد هذه، أثر بارز إذ« أثرت التفكير المعجمي وشحذت هممما برز مفعولها في تأليف المعاجم الحديثة»[1]، لأنها ببساطة لم تقف عند الكشف عن أغلاط أصحابها وتتبّعها، بل تعدت ذلك إلى محاولة وضع معاجم تتلافى هذه المآخذ والعيوب، وفي هذا الصدد يقول الشدياق: «فإنّي لما رأيت في تعاريف القاموس للإمام القاضي مجد الدين الفيروزابادي قصورا وإبهاما، وإيجازا وإبهاما، وترتيب الأفعال ومشتقاتها فيه محوج إلى تعب في المراجعة، ونصب في المطالعة، والناس راوون منه، وراضون عنه،أحببت أن أبيّن في هذا الكتاب ما يحض أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة، يكون سهل الترتيب واضح التعاريف، شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتّاب، وكل من اشتهر بالتأليف، سهل المجتنى داني الفوائد بيّن العبارة، وافي المقاصد ....وذلك لا يتأتّى إلا بإظهار ما في القاموس من الخلل والأصول، بنوع لا يحمل القارئ على الملل، ولا يقنطه من تحصيل فوائد اللغة التي هي خير محصّل »[2].

لقد عبر "الشدياق عن أزمة عامة ثقافية و حضارية، تدل على أن العربية على جلالها القديم وتراثها المجيد، قد ظهرت بأنها غير مهيأة لمواجهة العصور الحضارية الحديثة "[3].

لسنا نبالغ إذا قلنا إن الشدياق كان أكثر رجال النهضة العربية دراية، وعلما واطلاعا، على الحضارة الغربية، وذلك ناجم عن من إقامته الطويلة في أوروبا، مما ساهم في إبرازه وذيوع صيته، لاسيما وأن فترة وجوده وافقت القرن التاسع عشر، وما صاحبها من ازدهار وتطور في الغرب، في الوقت الذي كانت تسود فيه روح التقليد والتسليم التام بكل ما كتبه الأقدمون في بلادنا العربية، مما يعني تطلبه جرأة كبيرة، وقدرة واسعة في تحمل مغبة ذلك النقد والذود عن آرائه فيها.[4]

---

[1]- ابن حويلي: المعجمية العربية، ص57

[2]- أحمد فارس الشدياق: مقدمة الجاسوس على القاموس، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة القسطنطينية، 1299، ص3

[3] - أحمد بن عبد الرحمان بلخير: المعجم الوسيط والمعايير المعجمية الحديثة، ص63

[4] - المرجع نفسه، ص70

لقد كانت رغبة هؤلاء الرواد في النهوض بالمعجم العربي شديدة، وآمالهم في تحقيق ذلك كبيرة، وهو ما تجلّى فيما بعد في تلك الحركة العلمية الواسعة التي قادها ثلةٌ اللغويين والنّقاد اللبنانيين، وعلى هذا الأساس فقد شهدت حركة التأليف في هذه المرحلة ظهور العديد من المعجمات الحديثة،على غرار "محيط المحيط"و "قطر المحيط" للمعلم بطرس البستاني، ومعجم "أقرب الموارد على فصح العربية والشوارد" لسعيد خوري الشرتوني، و"معجم الطالب" للمعلّم جرجس همام الشويري اللبناني، و"البستان" لعبد الله البستاني.... وغيرها من المعجمات الأخرى.

إنه وعلى الرغم مما ظهر من تجارب قاموسية حديثة تدعي التجديد ومواكبة الحداثة- كما سبق و رأينا- ، لم فإنها لم تفلح إلا نسبيا في جعل المعجم العربي يتجاوز حيز التقليد، إلى بناء رؤية قاموسية عربية حديثة، منفتحة على واقع اللغة الفعلي، وإن كنا لا ننكر فضلها في السعي إلى تطوير مفهوم القاموس، ومن ثم وظيفته وبنيته، لكنها رغم تقدّمها النسبي في مستوى المنهج، لم تتخلص في مستوى المضمون إلا قليلا من هيمنة الفصاحة التقليدية – ، سواء من ناحية غلبة الأرصدة القديمة، أم في مستوى بنية التعريف ومكوناته الشكلية والدلالية، أو من جهة ما تثيره من علاقات دلالية كالاشتراك خاصة، ومناهج معالجته، وهو ما يكشف عن نقص لا يمكن تداركه إلا بمزيد من جهود اللسانيين والمعجميين في هذا المجال تنظيرا و تطبيقا[1].

وفي هذا الصدد يذهب (حسين ظاظا) إلى وصف هذه الجهود السابقة بقوله: إنها في الحقيقة محاولة لإظهار القديم في ثوب جديد، دون أن تضيف شيئا جوهريا إلى تلك الصناعة [2].وفي هذا الصدد أيضا يذهب (عبد الواحد وافي) إلى القول:إن هذه المعجمات الحديثة لا تكاد تمتاز عن المعجمات القديمة، إلا في حسن التنسيق ونظام الترتيب، واستخدام بعض وسائل الإيضاح، كرسم ما تدل عليه الكلمات من حيوان أو نبات أو جماد، وتعرّضها لبعض المصطلحات الحديثة في العلوم والفنون والصناعات.... وما إلى ذلك»[3].

إن الدافع الحقيقي الذي حرك هؤلاء المعجميين المحدثين، هو الرغبة في الوصول إلى معجم تعليمي يلبي حاجة المتعلمين وطلبة العلم وفي هذا الصدد يشير

---

[1] - الحبيب نصراوي: قاموس العربية من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، ص01

[2] - حسين ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2 ،1990 ، ص114،115

[3] - علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، 2000، ص289

لويس معلوف إلى أن هدفه من وضع معجمه إنما هو راجعٌ إلى: «كثرة ما لهج به أرباب المدارس وطلابُها بالحاجة إلى معجم مدرسي، ليس بطويل مُمِلٍ، ولا بهزيل معوزٍ، يسير مع المنهج الذي سارت به المعجمات اللغوية الأجنبيّة، من إحكامٍ ووضعٍ ووضوح دلالة.... وكنا ممّن انتبه إلى هذا الأمر ورغب أشدّ الرغبة في تحقيق هذه الأمنية»[1].

لقد أولى (لويس معلوف) عناية بالقديم وأضاف إليه تنظيم المحدثين ورسومهم، فجاء معجمه خاليا من فضول القول والاستطرادات، مع غزارة المادة[2]، وهذا ما صرّح به قائلا:« وقد تحرّينا ما أمكننا المحافظة على عبارات الأقدمين، وأغفلنا ما يمسّ حرمة الآداب من الكلمات البذيئة التي لا يضرّ جهلها وقلما أفاد علمها»[3].

لقد ظل هاجس المعجم التعليمي أكبر تحدّ يواجه الصناعة المعجمية العربية، زيادة على ذلك فإن الحاجة إلى وضع معاجم متخصّصة، تعنى بهذا الزخم الكبير من المصطلحات العلمية، التي تنتمي لفروع مختلفة من العلوم، نتيجة التطوّر المتعاظم الذي مسّ جميع فروع المعرفة البشرية ، وهو ما جعل العربية تستشعر الحاجة لمثل هذه المعجمات، وهنا حاول «بعض العلماء سدّ هذا النقص الذي تعاني منه اللغة العربية في هذا المجال، فوضع أمين معلوف "معجم الحيوان" و"المعجم الفلكي" بالإنجليزية والعربية، كما ألّف محمد شرف "معجم العلوم الطبية والطبيعية عام1968، بالإنجليزية والعربية، وأخرج الأمير مصطفى الشهابي "معجم الألفاظ الزراعية" بالفرنسية والعربية و غيرها من المعاجم الأخرى. »[4].

إنه لا يمكننا الآن وفي ظل التقدم الهائل في صناعة المعاجم، ومع تضخم المادة التي نتعامل معها، نتيجة اتساع مجالات اللغة، وتعدد استخداماتها العلمية والفنية، تصور انجاز معجم في أي لغة من لغات العالم بجهد فردي أو أفرادي. إن إخراج أي معجم في القديم كان يعتمد على لغة الشعر والأدب، وهي لغة يمكن للمعجمي أو اللغوي أن يدعي معرفته بها، لكن إخراج معجم في العصر الحديث يعتمد على لغة

---

[1]- لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،لبنان، دط،1908 ، ص1

[2]- محمد علي عبد الرديني: المعجمات العربية دراسة منهجية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 2006، ص128

[3]- معلوف لويس: المنجد في اللغة، ص1

[4]- وفاء فايد كامل: المجامع العربية وقضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين، عالم الكتاب مصر، دط، 2004، ص23،24، بتصرف.

العلوم والآداب والمعارف المختلفة، التي لا يمكن لباحث واحد أو مجموعة من الباحثين، المتحدي الثقافة الإلمام بها ،فضلا عن الإفتاء فيها، وهذه قضية قد سلم فيها الغرب منذ فترة طويلة، وقبل معرفة الحواسيب، واستخدام التقنيات الحديثة[1].

وتأسيسا على ما سبق حمل مجمع اللغة العربية عبء العمل على سدّ هذه الثغرة – المعجم التعليمي - فأخرج عام 1960م، "المعجم الوسيط" في جزأين، وقد أشرفَت على إخراجه لجنة من أعضاء المجمع....[2]، وبالفعل فقد عُدّ هذا المعجم من المعاجم العصرية المجدّدة سواء كان ذلك في طريقة إخراجه، أو من ناحية الترتيب والشرح الدقيق لألفاظه، كما زوّد ببعض الصور والرسوم الموضحة .

لقد جاء هذا المعجم « مجدَدا ومعاصرا يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية والإسلام، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطا بين عصور اللغة المختلفة، ويثبت أنّ في اللغة العربية وحدة تضمّ أطرافها وحيوية تستوعب كلّ ما اتّصل بها، وتصوغه في قالبها، فيه ألفاظ حديثة ومصطلحات علمية»[3].

وإلى جانب هذا المعجم عمل المجمع على إصدار معجمات أخرى على غرار "المعجم الكبير"، و"الوجيز" .... وغيرها، بالإضافة بعض المعاجم المتخصّصة وإن كانت محاولات الهيئات والمنظمات لم تقتصر على مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، إلاّ أننا سنكتفي للتمثيل لهذه الجهود الجماعية بما سبق ذكره، ولأنّ الجهد البشري يبقى دائما بعيدا عن الكمال، فقد توجّهت اللجنة لقراء هذا المعجم من المتخصصين بعدم حرمانها من ملاحظاتهم وتعليقاتهم واستدراكاتهم، لتجنّبها في الطبعات اللاحقة.

لقد كان صدور "المعجم الوسيط" دفعا كبيرا في مسار التأليف المعجمي، كما زاد من قناعة المشتغلين بهذا الميدان، أن وضع معاجم لغوية عصرية لا يتمّ نتيجة جهود فردية، والدليل على ذلك أن المعاجم التي سبقت صدور هذا المعجم كان أصحابها « نادرا ما يتبادلون خبراتهم، أو يتحاورون في مناقشات تبادلية، مما يضيّع الوقت والجهد، ويجعل أيّ مشروع يبدأ من الصفر تقريبا»[4]، وإذا كانت هذه الجهود الفردية

---

[1] - أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث،ص175

[2]- عدنان الخطيب:المعجم العربي،ص55

[3]- عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء، عمان، ط1 ،2009، ص383

[4]- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص166

قد بسطت سيطرتها على ميدان الصناعة المعجمية قديما، واستمرّت حتى العصر الحديث مع هؤلاء اللبنانيين الذين سبق الحديث عنهم، فإنّنا شهدنا مع نهاية القرن الماضي محاولات الخروج بالمعجم من حيّز الجهود الفردية إلى خانة الأعمال الجماعية التي تتطلب تضافر الجهود والتكامل بين الأفراد والمؤسسات، على غرار ما يجري عند الغرب « إذ لم يدم هذا الوضع عندهم طويلا، ولم تعد هناك أسرار في صناعة المعاجم، مما سمح بتبادل الأفكار والآراء، بل وإعلان بعض المؤسسات المعجمية الكبيرة عن منهجها وخططها في هذا المجال»[1].

إننا لا ننكر أهمية عمل المؤسسات والهيئات، خاصة إذا كان هناك تبادل للآراء والأفكار، إلاّ أنّ كل هذا سيظل غير كافٍ في ظل تجاهل « المقاربات المعجمية الدولية، وما وفّرت للدارسين من رؤى تؤسّس للمعجمية علما مستقلا، ومجمعا بحرا تصب فيه كل العلوم اللسانية، من صوتية ونحوية ودلالية وأسلوبية وما وراءها من قراءات بنيوية ووظيفية وتوليدية....الخ»[2].

هذا وقد تزامن الاحتفاء بصناعة المعاجم في العصر الحديث، إقبال من الدارسين على البحث في موضوع المعجم ومسائله، تجلى ذلك في العديد من الأبحاث والدراسات التي ظلت « نشيطة منطلقة، تسير ولا تتوقف، وتقدّم ولا تحجم، وهي تتناوله وجوها من التناول شتى »[3] ، فقد تعدّدت مجالات اهتمام الباحثين بالمعجم، فمنهم من اهتم بتاريخ المعجمية، مبرزا خصائصها الفنية وعيوبها، ومنهم من حاول الوقوف عند عوامل التأثير والتأثر التي طرأت على المعجمية العربية مبينا طرافتها القديمة، وخضوعها المعاصر لبنيات المعاجم الأوروبية، مع السعي لوضع معالم المعجم العربي الجديد »[4]. وممن سار في الاتجاه الأول (حسين نصار) الذي حاول في كتابه "المعجم العربي نشأته

---

[1]- المرجع نفسه، ص 166، بتصرف

[2]- الحمزاوي: المعجمية مقاربة نظرية ومطبقة مصطلحاتها ومفاهيمها، الشركة التونسية للنشر و تنمية فنون الرسم، تونس، دط ، 2004،ص116

[3] - الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم التراثية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ، ص "ز"

[4] - محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا،دار الغرب الإسلامي، تونس ، ط01، 1986 ، ص48

وتطوره" التأريخ للمعجم العربي، من خلال تتبع مساره التاريخي من بداياته الأولى وصولا إلى العصر الحديث.

ويعتبر عمل (حسين نصّار) أشمل عمل عالج القضية معالجة مطولة، متوخيا في ذلك منهجا واحدا مركزا على حياة المؤلف، وثقافته، وفنياته المعجمية، وصلاتها بمختلف المدارس المعجميّة العربية، دون أن يعتني بتأثير المعجميّة العربّية بغيرها أو بتأثيرها فيها »[1] ، وهي الدراسة التي علّق عليها الشرقاوي إقبال بقوله: «على أنّ أوفى ما كتب عن المعجم العربي نشأة وتطورا، كتاب الدكتور حسين نصار الذي سماه المعجم العربي نشأته وتطوره ، وقد ظهرت طبعته الأولى سنة1956 ثم صدرت طبعته الثانية سنة 1968»[2].

وبهذا العمل الذي لاقى شهرة وذيوعا كبيرين، يكون حسين نصار قد رسم منهجا عاما سار عيه كثير ممن جاؤوا بعده، على غرار عبد الله درويش ، عدنان الخطيب، إميل يعقوب...وغيرهم.

ومنهم من ركز على معجم واحد بعينه بالنقد والتحليل، حتى قلّ أن نجد معجما لم يدرس في كتاب أو أطروحة جامعية أو بحث[3].

إن ما ميّز دراسات هذا الاتجاه على أهميتها وجلال قدرها، ذلك التصور النمطي، الذي سعى أصحابه من خلاله « إلى ضبط أصول المعجمية العربية، وتدقيق مناهجها والتعريف بمدارسها، بطريقة وضعية دون أن يعالجوها معالجة لغوية اجتماعية »[4].

قد لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الرأي السابق على أهميته، فإن الأخذ به لا يلغي بطبيعة الحال فعالية هذا النوع من البحوث، ولا ينفي دورها في إعادة بعث الموروث المعجمي العربي، والتعريف به وبأعلامه، الذين خدموا العربية، وساهموا في وضع اللبنات الأولى لمشروع المعجم العربي المنشود.

---

[1] - المرجع نفسه، ص43

[2] - الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم ، ص "ز"

[3] - عفيف عبد الرحمن : من قضايا المعجمية العربية المعاصرة (مقال) ، مجلة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987 ، ص 377

[4] - محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس،ط1، 1986 ، ص44

و حاول فريق آخر من الباحثين أن يسلك مسلكا جديدا، وذلك بقراءة الموروث المعجمي العربي قراءة جديدة، تتجاوز الوصف والتحليل إلى محاولة ربط هذه الجهود العربية، بالرؤى والتصورات اللسانية الحديثة، قصد إعادة بعث هذا الأخير بعثا جديدا، يتماشى والسياق العلمي والحضاري الراهن، مؤكدين على أهمية هذا التراث، ومبرزين في الوقت نفسه كثيرا من جوانب السبق العلمي الذي حققه هؤلاء اللغويون القدماء.

ومن الأوائل الذين ساروا في هذا الاتجاه محمد أحمد أبو الفرج في كتابه المعنون "المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث « الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1966م، تطرق فيه إلى الحديث عن المعنى المعجمي وأنواعه، كما تحدث عن أصوات اللغة في المعاجم، ومن ثم الحديث عن النحو في المعجم، لقد تحدث عن كل ذلك من منظور لغوي حديث، وجعل ميدان التطبيق لذلك ثلاثة معاجم اختار منها عينات ليدلل على ما يقول، والمعاجم هي أساس البلاغة للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، و المعجم الوسيط. وتعتبر هذه الدراسة من أفضل الدراسات لمحاولة الربط بين المعاجم من جهة، وعلم اللغة الحديث من جهة ثانية، إلا أن ذلك الربط قد اقتصر على جوانب قليلة، ولم يشمل جميع العناصر المعجمية التي يجب توافرها في كل دراسة معجمية مكتملة »[1].

و يجدر بنا ونحن نتحدث عن المعنى المعجمي أن نشير إلى الدراسة التي قدّمها (حلام الجيلالي)، و سعى من خلالها إلى « تخصيص وتقديم دراسة وافية لظاهرة التعريف المعجمي، تجمع بين التأسيس النظري والإجراء التطبيقي،حاول من خلالها ملامسة واقع المعجم العربي عن كثب، قصد حصر الإجراءات التطبيقية في المدونات التي ظهرت مع الستين من القرن الماضي كالمعجم الوسيط، والقاموس الجديد للطلاب، والمعجم العربي الحديث(لاروس)، والمعجم العربي الأساسي، والمحيط معجم العربية.

لقد امتلك حلام الجيلالي رؤية ثاقبة في البحث المعجمي واللساني، يشهد له بها العديد من الباحثين والأكاديميين على مستوى ساحة الوطن العربي، فهو يضع التراث

[1] - أحمد بن عبد الرحمن بالخير: المعجم الوسيط والمعايير المعجمية الحديثة، ص31

منطلقا وأساسا لمشروعه العلمي والفكري، ويتخذ من الصناعة المعجمية الحديثة والدرس اللساني المعاصر بأبعاده الحضارية والتواصلية مرتكزا وأرضية لبعث التراث.[1]

إنه لا يصح في نظرنا ونحن نتحدث عن الجهود التي رمت إلى مقاربة قضايا المعجمية العربية بنظيرتها الأجنبية، أن نغفل الإشارة إلى الجهود المبذولة « في رحاب الجامعة التونسية التي لم تتخذ التأصيل وحده منطلقا للتأسيس، بل نفضت الغبار عما في التراث من إضاءات لتخلع عليه لبوس الحداثة اللسانية، فنهلت مما أقرته هذه الأخيرة من مناهج ونظريات، كان لها الأثر الحاسم في تطوير البحث اللغوي، ومن ضمنها المعجم، وكان ذلك عن طريق أساتذتها الذين تبنوا أهم المقولات اللسانية منذ مطلع الستينات، خاصة مع الأساتذة: صالح القرمادي، عبد القادر المهيري ومحمد رشاد الحمزاوي، بما أحدثوه من تغيرات جوهرية في مفاهيم لغوية كثيرة ومنها : إعادة النظر في مفهوم القاموس ووظيفته، وعلاقته باللغة والمتكلم في ضوء تقدم المباحث اللسانية الحديثة »[2].

وبعد فهذه لمحة موجزة عن أهم الاتجاهات التي عبّرت عن رؤية كل باحث ومنهجه في النهوض بالمعجم، والوصول بالدراسة المعجمية إلى مكانتها الحقيقة بين علوم اللغة الأخرى، كما تكشف في الوقت نفسه تعاظم الدور الذي باتت تلعبه المعاجم في العصر الحديث، وتكشف أن مسألة النهوض بالمعجم، لم تعد تقتصر على إحياء المعاجم القديمة، وإنما تعدت ذلك إلى محاولة التأسيس والتأصيل لهذا العلم، ووضع أسسه النظرية والإجرائية « باعتبارها عناصر من علم ممكن له أصوله وقضاياه»[3] ، ويستقطب إليه كثيرا من « أولوا العزم من العلماء الفطاحل، الذين يملكون الذوق البياني، والقدرة اللغوية، والاطلاع الواسع على كتب اللغة التراثية، وبحوث المناهج العلمية المعاصرة، التي تواكب اللغة ، وتعمل على تطويرها وتحيّينها مع معطيات كل عصر، وخصوصيات كل مصر، مع السعي لوضع أسس تتصل باللغة ومفرداتها ومفاهيمها، مما يرتبط أصالة وعصرنة بعلوم لسانية عديدة، ويتقاطع في ميدان البحث العلمي مع طرائق المنهج المرسوم للدّراسات المعجمية، التي ترتكز أساسا على

---

[1] - مختار درقاوي: صناعة التعريف في المعجم العربي (مقال)، مجلة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص377

[2] - الحبيب نصراوي : قاموس العربية من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة ، ص 70

[3] - محمد رشاد الحمزاوي: المعجمية مقاربة نظرية ومطبقة ، ص85

معطيات اللسانيات الحديثة، والمناهج العلمية المعاصرة، انطلاقا من مقاربات القدامى ومحاولات المحدّثين، بغيّة نقل الدّراسة المعجمية من الفرضيات البعيدة والتجريدات الحالمة، إلى واقع لغوي يرقى باللسان، ويحرك عبقرية الإنسان، ويخرج بالمعجم إلى فضاءات فسيحة من الفهم و التناول والتطبيق »[1].

لقد كان لهذه الجهود الكبيرة المبذولة أثر بارز في تعميق المعرفة بتاريخ المعجم وقضاياه، واستطاعت أن تخلق وعيا معجميا بين الدرسين والطلاب، تجلى ذلك في العديد من الأبحاث والدراسات كما سبق وأشرت إلى ذلك، و إن كنت أعلم علم اليقين أن ما لم أذكره يزيد عما ذكرت، وعذرنا في هذا المقام أننا نروم التمثيل لا الحصر، كما أن طبيعة هذا الموضوع المحدود زمانا وموضوعا تفرض علينا حدّا من الوصف و الإحصاء.

إن تجاوز هذا الوضع الذي يحياه المعجم العربي، والخروج من هذا التأخّر الذي يعيشه في العصر الحديث، لم يعد بالأمر العسير خاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار الجهود المعاصرة، التي بذّلها ويبذلها لسانيون في هذا المجال - كما سبق ورأينا - إيمانا منهم أن النهوض بالدّرس اللغوي عامّة والمعجمي خاصة، لا يمكن أن يكون محليا وإنما من خلال« فتح نافذة تُطل على الجهود اللغوية غير عربية، وأن العمل المعجمي العربي، ينبغي أن يستفيد من الأعمال المعجمية الأجنبية التي تمّت في لغات أخرى، ومن المناهج التي وضعها أصحابها لها، ومن التقنيات الحديثة التي استخدمت مؤخّرا في صناعة المعاجم وإخراجها...»[2].

3- آفاق المعجم العربي المعاصر وسبل تطويره:

لا جدال في أن المعجم يمثل وجها من وجوه المجد العربي، الذي استحق إكبار اللغويين وإعجابهم على مرّ العصور وتعاقب الأزمان. لقد ترك اللغويون العرب القدامى وثيقة تعبر بحق عن تطور الوعي اللغوي الذي بلغه هؤلاء، ودرجة النضج الثقافي الذي وصلوا إليه، وبقدر ما يدعوا هذا الإرث اللغوي للفخر والاعتزاز، بقدر ما يجعل الباحث الحصيف يستشعر ثقل الأمانة وروح المسؤولية، لاستكمال ما بدأه هؤلاء ، والسير على

[1] - المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي، ص10

[2] - عمر (أحمد مختار): صناعة المعجم الحديث، ص14

نهجهم شحذا للهمم، وبعثا للأمل في النفوس للوصول إلى معجم حديث، يضاهي معاجم اللغات الأجنبية في دقة نظامها وشمولية رصيدها، وحسن إخراجها.

إن السؤال الذي ظل يخامر كل واحد منا هو البحث عن مواصفات المعجم العربي المنشود،و كذا كيفية استثمار التطور التقني والعلمي، في إنتاج وإخراج معاجم تتماشى والأهداف المتوخاة منها، وتدفع إلى زيادة الإقبال عليها بشوق ودافعية، خاصة وأن الواقع يؤكد عزوف الكثيرين عن استخدام المعجم، باعتباره أداة تربوية تعليمية في الأساس، مساعدة في اكتساب جملة من المعارف والخبرات اللغوية *، فضلا عن وظيفته الأساسية التي هي الكشف عن معانى الوحدات المعجمية وإيضاحها.

لعل من الحكمة أن نشير إلى أن التحديث الذي نقصده « ليس دعوة إلى جبّ الإرث اللغوي، وهدم المنهجية التي انتهجها الأوائل، وتقويض أركانها، وابتداع منهجية جديدة منسلخة عن ماضيها، وإنما هي قراءة محاورة لجهودهم، تقف على مواطن القوة فتعززها، ومواطن الضعف فتعيد بناءها بموضوعية، تنسجم والأنظار اللغوية الحديثة »[1].

وعلى هذا الأساس وجب وضع تحديد دقيق، وتصور شامل لجوانب التجديد التي يمكن في ضوئها إخراج المعجم الوظيفي المرتجى، والتي يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1- المضمون: ويتمثل في الجانب العلمي واللغوي والموسوعي المختزل في مادته المعجمية، المسايرة لمستلزمات الحداثة والتحديث، بإشباع الضرورات الحضارية من الوجهة النفسية والاجتماعية، كلغة استعمال مهذبة ومد المستعمل بما يحتاج إليه في كل حين من ألفاظ حضارية ومصطلحات وتعابير نموذجية، والجواب الوافي لتساؤلاته المستجدة، مع التحديد المعبر والتنقيح المستمر[2]. غير أن الملاحظ على معاجمنا أنها لا زالت " قاصرة عن تلبية حاجات مستهلكيها، ولا تغطي المادة المعجمية الجديدة ولا

---

* - وربما كان مرجع ذلك إلى غياب الثقافة المعجمية في مدارسنا وجامعاتنا، لدرجة أننا قد نجد طلابا في السنوات الأخيرة من دراساتهم الجامعية يفشلون في استعمال المعجمات، والسبب إهمالنا إدخال هذا اللون من الدراسات اللغوية إلى مدارسنا في مراحل تأسيس الطالب. أسامة الألفى : المعجم العربي بين الواقع و المأمول، ص55

[1] - سهى فتحي نعجة : منهجية بناء المعجم العربي بين التصور و التمثل(مقال)،المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الكرك، الأردن، العدد3 ،2011 ، ص128

[2] - ابن حويلي: المعجمية العربية، ص235

المعاني الجديدة للمفردات، ولا تهتم بجوانب النطق والصرف و التركيب والدلالة بصفة نسقية منتظمة، وإنما تورد ما أوردته المعاجم القديمة، من مداخل دون الاهتمام بالأرصدة اللغوية الحديثة، أو بالمادة اللغوية المتداولة حاليا، دون أبهٍ بما أهملته هذه المعاجم من مواد كانت موجودة، أو جوانب من وصف هذه المواد (وعلى الأخص الجانب النطقي للكلمات وكذلك جانب الأثالة أو أصول الكلماتetymology، وما زخرت به من حشو أو مترادفات لم تعد مستعملة، أو أضداد مزعومة أو اشتراك لفظي غير قائم، أو تداخل لغات، أو عدم دقة في التعاريف أو الشروح[1].

إن المطلوب من المعجم الوظيفي المرتجى، أن يكون معجم الألفاظ المأنوسة لا الميتة، بحيث يكون ملاحظا محايدا لتطور اللغة، سجلا أمينا له يتعرّف فيه القارئ على حاجات عصره، بدلا من حاجات عصر مضى وانقضى، ويجد فيه ضالته اللغوية الموصوفة، وصفا علميا محايدا، فاتحا صفحاته للمفردات والمصطلحات والتعابير والأمثال الشعبية، خاصة تلك التي اكتسبت شرعيتها من الاستخدام في الكتابات الأدبية لها في جميع البلاد العربية، مما سيساهم في ترسيخ الوحدة اللغوية الثقافية والوجدانية بين الشعوب العربية، بعد أن غدت وحدتها السياسية بعيدة المنال[2].

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال" قراءة نقدية للمعاجم العربية القديمة والمعاصرة، وتطهيرها من الكلمات المهجورة التي تمتلئ بها، على أن تصدر في معجم خاص بالعربية القديمة وهو ضروري للباحثين، واستبدالها بكلمات شائعة عملا بالمثل النحوي الشهير: "خطأ شائع خير من صواب مهجور "، دون أدنى تنازل للأصولية اللغوية المتحجرة التي ترفض إخضاع العربية لقانون التطور الكوني، الذي عرفته جميع اللغات، لذلك تشبثت هذه الأصولية اللغوية الدينية، بضرورة حضور آلاف الكلمات المهجورة في المعاجم المتداولة، ضاربة صفحا عن آلاف الكلمات الأخرى الحية[3].

2- المنهج: لئن أورث التباين في ترتيب المادة المعجمية بين النظام الصوتي، ونظام القافية والنظام الألفبائي في المعاجم القديمة قلقا وحيرة و اضطرابا في نفس أبناء العربية، لما يتطلبه من كفاية كلية في استظهار صلة الرحم بين الدوال اللغوية، بالكشف عن أصولها وفروعها، وما طرأ عليها من تطورات أو تبدلات صوتية أو صرفية،

---

[1] - عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم العربي نماذج تحليلة ،دار توبقال للنشر، المغرب، ط02 ،1999، ص13

[2] - العفيف الأخضر: إصلاح العربية، منشورات الجمل، بيروت، لبنان،2014، ط1 ، ص51 ،46 بتصرف

[3] - المرجع نفسه، ص49

وهذا مطلب صعب عسير، وعصي على كثيرين ممن لم يمهروا ارتياده، ولاسيما المبتدئين في تعلم العربية من الناطقين بها أو بغيرها[1].

فقد أمكن اليوم التغلب على هذه الصعوبات وتذليلها، بوضع مقدمة في المعجم ترشد الباحث إلى مواطن الزيادة والحذف و الإدغام والإبدال والاشتقاق، ومن شأن هذه المقدمة أن تحافظ على الهدف التربوي للمعجم[2].

مع التأكيد على ضرورة الالتزام بمنهج موحد في ترتيب المشتقات، والسعي إلى الإحاطة بمدلول اللفظ قدر ما أمكن من خلال استخدام الأمثلة و الشواهد التوضيحية.

3- المظهر(شكل الإخراج): ونعني به الإخراج التقني والفني، الذي يعد القالب والوعاء والكيفية والمنهج الذي تقدم فيه هذه المادة ، وينضوي تحت هذا الغطاء كل وسائل التهيئة الطباعية، وحسن الطلعة والاستهلال، والحق أن أحسن ما يمثل وجه التحديث في المعجمية المعاصرة، هو اعتمادها على حسن استغلال الألوان في تبويب المداخل، وتحلية الشروح والرسوم الملونة الثابتة المتحركة والخرائط والأصوات الحية وكلها هام ، غير أن أشرفها جميعا هو استغلال الألوان الفنية المعبرة .

ومن المؤسف حقا أن معاجمنا العربية لم تلتفت بما فيه الكفاية إلى استغلال تأثير الألوان، في إثارة حب الإطلاع وشحذ الهمم، و إيقاظ مشاعر الجمال في القارئ العربي حين النظر إلى معجم لسانه المعبر، وهو الذي يرى في كل حين معاجم الدنيا تنزع إلى الكمال والجمال، بينما لازال معجمه يئن تحت وطأة التقليد والركود والابتذال، وسواء أكان سلوك القائمين على طباعة المعجم يتصرفون بحسن نية أو عكسها، فإن شعورنا بالامتعاض يشتد أكثر حينما نرى معجما مثل "المعجم العربي الأساسي" بما يملك من إمكانات مادية ومعنوية، يهمل كليا وسائل الإيضاح التربوية، ثم يتجاهل القائمون الأثر الأكيد لتأثير الألوان في رفع قدر المطبوع التربوي ومردوده من وجهة النظر الحضارية[3].

في ختام هذا البحث نشير إلى أنه ومهما يكن من أمر المعاجم العربية الحديثة ، وأمر ما وصل إليه البحث المعجمي العربي، فإنه لم يصل بعد إلى وضع قاموس عام متوسط من مثل le Petit Larousse الفرنسي أو لاروس الأطفال أو The Shorter Oxford English

---

[1] - سهى فتحي نعجة: منهجية بناء المعجم بين التصور و التمثل، ص194

[2] - ابن حويلي الأخضر ميدني : المعجمية العربية، ص157

[3] - ابن حويلي الأخضر ميدني: المعجمية العربية ، ص236

Dictionary في أحجام مختلفة، أو غيرهما من معاجم الأمم الأخرى التي يبلور فيها القاموس ثقافة العصر ولغته، ويستجيب للأهداف المتوخاة من وضعه[1].

وبكل أسف فإن معاجمنا اللغوية وموسوعاتنا العربية، لم تنل حظها من التقنيات الإلكترونية المعاصرة ، ولم تتبوأ مكانتها في مجال التطبيقات الحاسوبية(Micro-Applications)، رغم مرور القرن من الزمان على ما يفترض أنه بداية نهضتها ، أي منذ تاريخ ظهور أول معجم عربي حديث" على يد علمائنا اللبنانيين، وحتى هذه الساعة ما يزال معجمنا العربي، يبحث عن الرعاية الصادقة ، لكي يستطيع مواكبة الصناعة المعجمية الحديثة، بما تتطلبه من قدرات مادية و نفسية ...وما يزال (المخلوق) منذ انطلاقته في عصر النهضة يشكو الارتجالية والركود العلمي و الفني و التربوي، ويتخبط تحت سلوكيات غير حضارية[2].

[1] - عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم العربي ، ص14

[2] - ابن حويلي الأخضر ميدني: المعجمية العربية، ص230-239 بتصرف